سر السؤال السقراطى

د.محمد ممدوح على عبد المجيد*

تمهيد :

لا يزال سقراط لغزاً محيراً حتى اليوم، لا يزال مثيراً للتساؤلات والدهشة بنفس الطريقة التي كان يعالج بها منهجياً الأخطاء الآثينية، لا يزال يبعث في النفوس اليوم الحيرة والدهشة ، بذات القدر الذي بعثهما في نفوس مواطنيه، لا يزال يحيي في النفس قيم البحث عن الحقيقة والجوهر، بنفس الإحياء الذي تركه في نفوس الصفوة من قومه، لا يزال يبعث في النفس الأمل في الوصول إلي الحقيقة المطلقة، بذات الأمل الذي تركه في نفس أفلاطون في إمكانية تجاوز البشر لمرحلة البشرية،... لا يزال يبعث في النفس الأمل في التغيير ، بنفس القدر الذي تركه في نفوس صغار السقراطيين،... لا تزال فلسفتة تثير المتاعب وتطرق أبواب الأطروحات الجديدة، بذات القدر الذي أثارته في حياة صاحبها .

فهل يمكننا القول أننا بحاجة اليوم إلي فهم سقراط؟ أو بمعني أدق، هل يمكننا الوصول إلي مبادئ عامة وأطر واضحةالمعالم لنفهم الجوهر الحقيقي والسر الكامن وراء السؤال السقراطي؟

إننا بحاجة إلي ذلك قطعاً، بحاجة إلي استلهام مبادئ سقراط الماضية لنبنى عليها مستقبل الأجيال القادمة، بشيء من الشفافية، وبشيء من المصداقية، حيث أنه كلما كانت النظرة إلي الماضي أكثر عمقاً وشمولاً، كلما كان فهم الحاضر أشد عمقاً، وكلما شُيدت قواعد المستقبل .

إن بعث هذا التساؤل حول سر السؤال السقراطي من جديد، لهو بعث للجوهر دون العرض، بعثاً يريد الوقوف على مادة البناء، لاعلي شكل

أو حدود المبني، لعلنا نستطيع بعث رفاة تلك المبادئ من جديد، ولعلنا نستطيع التأسيس عليها بقوة مستقبلاً واعداً يجلب لنا إحترام الجميع.

نريد أن نستفيد من الماضي ونضعه أحجاراً كريمة وعظيمة في بناء المستقبل ، يقول هيجل " إن الدرس الوحيد الذي نستفيده من التاريخ هو أن أحداً لم يتعلم من التاريخ" (1).فهل يمكننا أن نتخطى هذا القول زمنياً وعملياً، هل يمكننا أن نُخطئ هيجل منهجياً في هذا القول، لنثبت له أن قوله يقتصر فقط علي زمانه، هل يمكننا الإستفادة من فلسفة ورؤية سقراط، وبعثها في ثياب جديدة تحترم الكم اللامتناهي من المدنية والحضارة التي توصل إليها الإنسان .

في الإجابة علي تلك الأسئلة تكمن أهمية هذا البحث، حيث يحاول التأصيل لمفاهيم ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وحيث يحاول بعث المفهوم الأصيل الذي كان يبعثه سقراط ضمن محاولات التأسيس لفلسفة واقعية.ولعل هذه الدراسة تثير العديد من الإشكاليات التي نحاول الإجابة عليها من قبيل:-

1 – لماذا يؤرخ بسقراط، ما قبل، وما بعد ؟.

2 – هل يمكن أن ننسب إلي سقراط بطولة لم يفعلها؟ وإنما فقط كان شاهداً عليها؟.

3 – كيف ينال سقراط كل هذه الشهرة في زمن خطباء مفوهين كالسوفطائيين أليس هذا لغزاً؟.

4 – ما هو جوهر الخلاف بين سقراط والسفسطائيين؟

5 – ما مدي الصلة بين العقل والنقل؟ ، أو بمعني آخر بين الفكر والوحي؟.

6 – هل يُعد سقراط إجمالاً إشكالية فلسفية؟.

وسوف يحاول الباحث الإجابة علي هذه الأسئلة من خلال التعرض للفلسفة السابقة علي سقراط، ومدي تأثيرها علي سقراط، ثم محاولة التأصيل لمنهج السؤال السقراطي وجوهره، ثم بيان الفوارق بين الجدل السقراطي والجدل السوفسطائي.

أما عن المنهج المستخدم فهو المنهج التحليلي المقارن، حيث يتناسب مع طبيعة هذه الدراسة.

أولاً :. من الميتافيزيقا إلي الحقيقة

إن تقدم الشعوب مرهون بمدي وعي مواطنيها، ولعل التساؤل الذي أثاره العديد من الباحثين حول الصبغة اليونانية للفلسفة كماً وكيفاً قد أثار ظلماُ كبيراً علي مرحلة الوعي الإنساني، إذ أن البحث التاريخي للفلسفة لا يهدف إلي إثبات ذاته كبحث تاريخي وكهدف في حد ذاته، ولكنه يهدف إلي تقديم حلول للمشكلات المتعلقة بماضي التفكير الفلسفي ومحاولة تنظيمها في أطر عامة وواضحة (2).

ولأن الفكر عامل مشترك بين جميع أبناء بني البشر، ويتمايزون فيما بينهم في هذا العامل بإمتيازات طفيفة بحكم الإكتساب لا الفطرة، فإن الأفكار تسلم نفسها إلى بني البشر للتواصل والتطوير، بحيث تتحرر الفكرة من ربقة صاحبها وتغدو ملكاً عاماً للبشرية كلها، تفيد منها أنى تشاء، ومتي تشاء، يقول إيفاجيلوس "وإذا كانت الأفكار هي العناصر التي معها تعيش فلسفة ما داخل نظام فلسفي مستقبلي، حتى وإن كانت الثانية مختلفة تماماً عن الأولي، فسيكون من الممكن وتحت شروط محددة أن تظل كل فلسفة حية بسبب فهم لاحق لها وفهم أخر لاحق عليها، وهكذا، أمر تكون معه تلك الفلسفة دائماً علي مسرح الاهتمامات الفلسفية "(3).

وإذا أردنا الدقة في منطلقات الفلسفة السقراطية، فلا بد وأن نعرج على سببين أراهما شكلا ولو بعض الشئ فكر سقراط، وتركا عليه

بصمة قوية، وهما تلك الأساطير التي سبقت عصر الفلسفة، ثم ذلك الإتصال الذي تم عبر الزمان بين مكانين مختلفين عرضا وجوهراً، ذاك هو الإتصال بين اليونان والشرق.

1 – الأساطير اليونانية :. كانت المرحلة الأسطورية عند اليونان بمثابة المخاض العسير للفلسفة (4) إذ أن الوصول إلي فكرة معينة أيسر بكثير من تحويل مسار فكر سابق ليتطابق واتجاه معين، سواء كان براجماتيا أو ميتافيزيقياً.وبظهور الأساطير عند اليونان، ظهرت مرحلة تحويل مسار التفكير بعد ذلك علي يد سقراط (5) .

وعلي الرغم من المشقات التي تركها التفكير الأسطوري علي مراحل الفكر البشري، إلا أن تلك المرحلة كانت ضرورية لميلاد فكر يتسم بالعقلانية، ورغم ذلك، فإنه لا ينفي أبداً العيوب التي تركتها الأسطورة، حيث أنها ألغت المنهج العلمي السليم،وحيث أن التفكير الأسطوري هدم جميع الفوارق بين الذات والموضوع ،يقول موتسوبولوس "انه مع التفكير الأسطوري أصبح من الممكن تدمير العلاقات القائمة بين الذات والموضوع،بل والعلاقة بين الزمان والمكان أصبح من الممكن إعادة تنظيمها وإعادة بنائها،هكذا أصبح ما يبدو مشابها لشئ أخر ليس بالضرورة مشابها له في الحقيقة،وكل ما يبدو مختلفا مع شئ أخر ليس بالضرورة مختلفا معه،العلاقة بين الأشياء بعضها وبعض أو بين الأشياء والإدراك أو بين إدراك وإدراك أخر ليست(في العقلية الأسطورية) محددهوواضحة"(6) أضف إلى ذلك أن هناك فارق كبير بين الأساطير البدائية،والأساطير التي يبتكرها خيال الأطفال،حيث أن المجتمعات البدائية متبلورة بسبب ديالكتيك ما يتخذه من الأسطورة كركيزة لها،وبفضلها تكون تلك المجتمعات قائمة وثابتة، أما أساطير الأطفال فتهدف إلى ربط مؤقت لمجتمع الأطفال ، ذلك المجتمع الذي يمكنه أن يغير منها من أجل أن تغير من نفسها وتحاول أن تتلاءم مع البناء الجديد للمجتمع (7)

لكن السؤال الآن، ما علاقة سقراط بالمرحلة الأسطورية عند اليونان؟؟والإجابة تتجه في شقين، أحدهما ميتافيزيقي، والأخر واقعي، أما الأول فهو أن الأساطير كانت تبرز قيمة القوى الخفية، أو بعث أفكار جديدة تخاطب الضمير بشأن الإله والأبطال القدامى، وهو ما ترك أثره على سقراط في نظريته في الألوهية (8).

وأما الشق الأخر ، فهو أن تلك الأساطير أمدت سقراط بالقدرة الذاتية على الانتقال من النقل إلى العقل، أو من الخيال إلى الواقعية (9)

2-بين اليونان والشرق : لعل ارتباط الفلسفة اليونانية بالمقدمات الفكرية الشرقية لا يزال مثار الجدل حتى اليوم، فلا تزال تلك القضية محل خلاف بين المفكرين العظام ، ففى حين يؤيد بربت الأثر الشرقي المباشر على الفلسفة اليونانية ، ينفى الدكتور عبد الرحمن بدوي هذا التأثير نفيا باتا(10) في ذات الحين يؤكده الدكتور النشار ويورد عليه الدلائل والآثار التي تركتها الفلسفة الشرقية على الفلسفة اليونانية ، ولعل المكتشفات الأثرية تبرهن على ذلك ، يقول الدكتور النشار" ومن خلال هذه المكتشفات الأثرية وفك رموزها اللغوية وترجمتها إلى اللغات الحديثة ، بدأت تتبلور منذ القرن الماضي صور واضحة المعالم لفلسفات الشرق القديم ، وبدأ اكتشاف جوانب العلاقة بينها وبين بعضها ، أو بينها وبين الفلسفة اليونانية التي لم تظهر إلا في القرن السادس قبل الميلاد متأثرة بالطبع بالفلسفات الشرقية القديمة من خلال وسائل الالتقاء الحضارية بين شعوب العالم القديم ، سواء كانت الرحلات والأسفار التي كان يقوم بها الأفراد ومنهم الفلاسفة أنفسهم ، أو من خلال العلاقات التجارية والاقتصادية ، أو من خلال الاختلاط الاجتماعي والهجرات التي كانت بين اليونان وبين بلاد الشرق القديم ، فالمعروف أن مستعمرات يونانية قد خصصت بالكامل من قبل الملك أبسماتيك المصري للجاليات اليونانية في مصر القديمة ، ومن المعروف كذلك أن الفرس قد غزوا مصر وبلاد اليونان قبيل وبعد ظهور

الفلسفة عند اليونان ، ومن المعروف أيضاً أن علاقات تجارية وثيقة كانت تربط بلاد اليونان ببابل وليديا ، وبين هاتين ومصر وفارس " (11) .

ونتيجة لهذا الإتصال بين اليونان وبلاد الشرق ممثلاً في مصر وبلاد الرافدين ، فقد تركت تلك الأفكار نزعة صوفية تأثر بها سقراط في مأكله وملبسه لدرجة جعلته يعيش ملاكاً بين البشر ، أو إن صح التعبير ، فقد كان بشراً لا تعتريه حوائج البشر (12) .

ثانياً : التحول الفلسفي :-

هل يمكننا أن نترك لخيالنا العنان لنفكر مع فيلسوف الثورة العظيم روسو، ماذا لو لم يكن سقراط؟ .....

كانت الفلسفة عبارة عن أساطير، تسري فيها الروح الشرقية وترتدي الثياب اليونانية ، ولما أراد اليونانيون أن يرتقوا خطوة في محاولة الوصول إلى العقل المطلق (13) حاولوا البحث في الأصول الأولى للكون ، فيما عُرف بإسم فلاسفة الطبيعة الأوائل ، ولكن كل تلك الفلسفات تركت أثراً على سقراط ليحول مجرى التفكير الفلسفي ، وليقود ثورة ضد الأساطير ، وضد البحث في الطبيعة (14)، ليُعلي بذلك قيمة الإنسان ، وأنه الموجود الوحيد الذي يستحق التفكير لأجله ، لأجل صياغة حاضره وصناعة مستقبله واستشراف مصيره ،تقول الدكتورة هدى الخولي " لقد تحولت الفلسفة مع سقراط من البحث في الطبيعة إلى البحث في الإنسان ، أو إن شئت من الكون الكبير إلى الكون الصغير ، أو ربما كما وصفه البعض أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض ، ليفتح آفاقاً جديدة أمام حرية الفكر والإعلاء من مكانة الإنسان داخل هذا الكون الملغز ، فإن كان هم الفلاسفة من قبله أن يفسروا الكون ، فقد جاء معلم أفلاطون ليرشدنا إلى حقيقة أن الإنسان هو من يملك مفاتيح الكون ، وهو الذي يلغزه ، وهو الذي يقدم الحلول لفك طلاسمه " (15) .

أضف إلى ذلك ، المجهود الضخم الذي قام به سقراط في استقاء عناصر الجودة من الأفكار السابقة عليه ، وكيفية إعادة صياغة الفكر البشري بأسره ، يقول الدكتور النشار " كان سقراط وهو الذي حول تلك الاتجاهات الفكرية المتناثرة إلى فلسفة محددة المعالم ، وإليه يرجع الفضل في كل التطورات التي تمخضت عنها هذه الفلسفة ، فقد أثرت شخصيته النفاذة في أقوام أخص ما يكونون تبايناً في طباعهم وأخلاقهم ، ومن آرائه اشتقت أفكار واستُخلصت نتائج جد متعارضة فيما بينها من الناحية المنطقية ، ومن الواضح أنها جميعاً مستمدة من شخصية سقراط " (16) .

لقد صاغ سقراط مجرىً ملاحياً جديداً للفلسفة ، حيث عدل مسارها إلى الأبد ، ولكي نقف على سر هذا السؤال السقراطي ، لابد من الوقوف على عدة محاور كالتالي :-

أ- منهج السؤال .ب- بين الحكمة والخرافة .

ج- بين الجدل السقراطي والجدل السفسطائي .د- اللغز المحير .

وتفصيل ذلك فيما يلي :-

أ- منهج السؤال: لقد كان السؤال قبل سقراط يسير على نمطية "من أين تأتي الفضيلة" ، وجاء سقراط ليتساءل " ما هي الفضيلة"(17) ،إذاً السؤال اختلف كيفاً، كذلك يذكر ستون أيضاً ، أنه كثيراً ما كان يقال لسقراط " أنت لا تفعل شيء سوى أن تجد في كل مكان صعوبات ، وأن تسبب صعوبات للآخرين " (18) .

في البدء ، حير سقراط العقل في فهم منهج سؤاله ، ولأن أبيه كان نحاتاً وأمه كانت قابلة للنساء ، فقد تركا أثراً واضحاً فيما يبدو عليه ، من الناحية المنطقية وليس من الناحية البراجماتية (19) ، تقول الدكتورة

هدى الخولي " ويبدو أن مهنة والديّ سقراط كان لها أثراً كبيراً على الفيلسوف ، والذي يظهر في تاريخ الفلسفة كنحات للعقول وكمولد للمعرفة في ذات الوقت " (20) . وصُبغ سقراط بالصبغة المنطقية لهاتين المهنتين ، فكان يعتمد في سؤاله على منهجي التهكم والتوليد ، ولعل ذلك يرجع إلى ثلاثة أسباب (21)

الأول :- أنه ربما كان يريد الوصول إلى حقائق وجواهر الأشياء المسئول عنها.

الثاني :- أنه ربما أراد توليد المعرفة لدي الآخرين بحكم عقيدته بفطرية المعرفة وعدم إمكانية تعلمها.

الثالث:- أنه ربما أراد أن يصل إلى حقيقة واحدة مؤداها " أنه لا توجد حقيقة " .

ووفق هذه الأطر الثلاثة سار السؤال السقراطى وبالاً على المسئول (22)لأنه كان يعلم مقدما أنه لا محالة مهزوم ، ويعلم أنه لا يمتلك معرفة حقيقية يمكن أن تُشبع نهم سقراط إلى المعرفة.ولأن الأسئله السقراطيه لم تكن ذات دلالات تفسيريه واحده ، بمعنى أن هناك من يفسر الأسلوب السقراطى بأنه تهكم دائم لا جد فيه؛وهناك من يفسر الأسلوب بأنه جد لا تهكم فيه؛ وهناك من يفسره بالحكمة المطلقة لصاحبها؟ ومن يفسره بالعرافة والكهانة ومس الجن؛(23).وفى الحقيقة، لم يحُذ أي تفسير من تلك التفسيرات على الصحة المطلقة ، وهو ما يدعونا إلى البحث عن كنة ذاك السؤال بين الحكمة والخرافة .

ب- بين الحكمة والخرافه :-قيل من قبل ، أن الألهه تنبأت بأن سقراط هو الحكيم الأوحد في المدينة؛فهل أخذ سقراط تلك النبوءه على محمل الفخار ، واستند الى أسسها الراسخة كونها خرجت من الآلهة ، وهى لها مالها في قلوب اليونانيين (24) إنه كان يكفيه أن يعيش حياة رغده ارتكازا على قواعد تلك النبوءه؛ ولكن تلك النبوءه لم تزده إلا بحثا عن الحكمة ، وإصراراً

على طرق أبواب المعرفة؛؛ فأراد أولا أن يثبت صدق الألهه ، ثم أراد ثانيا أن يوضح كنه تلك النبؤه....؛

لقد أخذ سقراط النبؤه على عاتقه ، وأخذ يسأل أدعياء الحكمة ، وأدعياء العلم ، الذين اشتُهروا بعظائم الصفات ، وليس ذلك لأجل امتحانهم ، فلم يرد ببال سقراط هذا الأمر في بادئة النبؤه (25)، ولكنه فقط أراد أن يتحقق من صدق النبؤه ومدى شفافيتها ، فكان يمتحن هؤلاء الأدعياء لأجل أن يصل إلى ينابيع الحكمة في أحدهم ، فيأخذه ويذهب إلى الالهه ليقول لهم "ها أنتم حكمتم بأنه لا يوجد من هو أحكم منى ، ولكن الحقيقة أثبتت عكس ما تقولون ، فها هو ذا أحكم منى "(26) ولكنه لم يصل إلى بغيته ، لم يحقق أمله ، لأن العكس تماما هو ما تحقق . لقد وجد في هؤلاء الأدعياء جهلا مطبقا ، وجدهم لا يعرفون من الأشياء سوى مسمياتها ، ولا يعرفون شيئا عن مناهج العلم ، ولا يعرفون من الأمور سوى قشورها ؛؛
ولأن سقراط كان يريد تعريفات محدده لجواهر الأمور ، كان يريد إرساء مفاهيم عامة ، فلقد استخدم منهج الاستقراء(27) مريدا بذلك إرساء المبادئ الأولى للعلم الصحيح.

لكن إذا كانت نبؤه الآلهه صادقه ، وبالفعل لا يوجد من هو أحكم من سقراط، فما هو جوهر تلك الحكمة؛يقول سيرون " الحكماء هم الذين امتلكوا زمام العلم والقسط والتواضع ، وسقراط في حكمته جمع بين ثلاث صفات ، لدرجه تجعلني لا أقول أن سقراط كان حكيما ، ولكن لأقول إنه كان أحكم الحكماء"(28)لقد تمثلت حكمة سقراط كما يجملها هو ذاته في جملة واحدة رائعة يقول فيها "أنا لا أعلم ، وأعلم أنني لا أعلم ، في حين أن غيري لا يعلم ، ويجهل أنه لا يعلم" (29)ذاك فقط هو الفرق بين ما يمتلكه سقراط ، وما يمتلكه غيره من الأدعياء ، ولا شك أن هذا الملك كبير لأن بداية المعرفة هو الإقرار بالجهل ، ولعل سقراط كان فطنا لذلك إلى حد

بعيد لدرجه تجعلني مؤمناً أشد الإيمان وموقنا أشد اليقين أن كل حرف كان ينطقه كان ينم عن حكمة بالغة، وليس للخرافة فيه أدنى نصيب.

د-بين الجدل السقراطى والجدل السوفسطائى :- إن الباحث فيما كتب عن سقراط يجد أن العديد من المؤرخين يصفونه بأنه كان مجادلا ، وليس هناك أدنى فرق بينه وبين السوفسطائين ، بل إن البعض يصنفه سوفسطائيا؛ في حين أن البعض الأخر يصنفه العدو اللدود للسوفسطائين، ثم نجد فريقا آخر يتناول سقراط من العرض، من القشرة ، لا يذهب إلى الجوهر ، ولا يطرق باب اللباب ، مما أوقع العديد من أولئك في أخطاء ، هي على الأقل منطقيه وإن كانت تبدو سليمة من الناحية المنهجية....
هل يمكن لعقل أن يصدق أن سقراط لم يكن سوى مجادلا مثله مثل السسوفسطائين ؟(30).

هل تصدق الصورة التي أبدعها الخيال البديع لأرستوفانيس وهو ألد خصوم سقراط....إن أقل ما يقال عن سقراط ، إنه بمنهجه أراد البناء الحقيقي والتأسيس الشامخ للعلم الجوهري ، لقد أراد أن يضع الأمور في نصاب حقيقي وعام ، ذات مقاييس محددة ، ومفاهيم واضحة ؛؛ أراد أن يبنى جيلاً من الشباب قادراً على طرق أبواب المعرفة ، يمتلك الهدف من سعيه وآلية الوصول إلى ذلك الهدف ، ولم يكن هناك هدف عند سقراط أسمى من طرق أبواب المعرفة الحقيقية ؛؛(31).

لم يكن السؤال السقراطى يهدف إلى الجدل لذات الجدل، ولكنه كان يتخذ الجدل وسيلة للوصول إلى غاية العلم الحقيقي والمفاهيم المحددة (32)لم يكن سقراط كما يصوره البعض ساخراً من أوطيفرون أو لاخيس أو غيرهم ممن سألهم عن المعاني الحقيقية للأشياء؛ولكنه كان مولدا للحكمة والمعرفة ؛.

ذاك كان هدف سقراط..فما هو هدف السوفسطائين؟؟ .

لعل الإنصاف يقتضى ألا نسلب عن السوفسطائين كل معاني البناء وننسب إليهم كل معاول الهدم ، لأنهم بوجه أو أخر أثروا الحياة الفلسفية اليونانية ، وشاركوا مع سقراط في تعديل مسار الفلسفه إلى الأبد وإن كانت تلك المشاركة بالسلب ، إلا أنه لا يمكن نفيها عنهم بوجه من الوجوه ؛(33) لكنهم على أي حال كانوا يقصدون في أغلب الأحيان الربح المادي فكانوا يعلمون الناس كيف يثبتون صحة القضية وعكسها في ذات الوقت ، وهو لا شك فعل السحرة ، الذين يسحرون الأعين ويسترهبون النفوس ،أو فعل السوفسطائيون البارعون في الجدال دون هدف ودون بناء؛....
قطعا للسوفسطائين نصيب كبير من صحة هذه التهمة ، وقطعا أرادوا الشهرة بالإتيان بغرائب الأمور ، وعلى الرغم من محاولة بروتاجوراس تبرير جشعهم بقوله " حينما يريد أحد أن يتتلمذ على فإنه يدفع الثمن إذا أراد ، ولا إجبار في ذلك ، وإذا لم يرد فعليه أن يذهب إلى المعبد ويأخذ على نفسه عهداً بتقدير قيمة التعاليم ولا يدفع أكثر مما يعلن أنه قيمتها (34).فقد برر هذا التبرير منطقيا لكنه ليس له أدنى قيمة من الناحية العملية.

إذن الجدل السقراطى كان يهدف إلى إرساء دعائم حقيقية للعلم الموضوعي، في حين كان الجدل السوفسطائى بحثاً عن لقمه العيش (35)فهل يُعد البعد بين المنهجين ، والفارق بين الغايتين لغزاً محيراً ومستعصياً على الفهم؟:الإجابة على هذا السؤال تقتضى التساؤل أيضا، هل كان سقراط يبحث في المحدد ، أم في المطلق ، أو بمعنى آخر هل كان يهتم بإضفاء جوهر الفكر على الفكرة ؟ أم يهتم بمضمون الشئ عن ظاهره...

هل يمكننا الوصول الى إجابات شافية لتلك الأسئلة ، وهل يستطيع أحد هدم تراث سقراط، يقول وورنر "إنه بالرغم من الصعوبة البالغة في الوصول من بيانات أفلاطون واكزينوفون إلى من هو سقراط في الواقع ، إلا

أنه يتضح لنا أننا أمام شخصية مختلفة تماما والاختلاف عن أي شخصيه ظهرت قبله فهو غير عادى من خلال كونه عاديا وذائع الصيت من خلال كونه اثينيا ، ومتدين من خلال منهج الشك وحكيم من خلال تظاهره بالجهل ، ومع ذلك لا نجد في شخصيته وسلوكه وآرئه أي متناقضات ، هو في مجموعه كل متجانس ، شخصيته دائماً شخصية مؤثرة بل إن المرء يشعر لو أن فناناً عظيماً مثل أفلاطون أراد آن يشوهها لما أمكنه ذلك ، كانت شخصيته شخصيه فرضت نفسها على من خلفوه ، كما لم تفرضه شخصيه أي فيلسوف غيره (36)إن محاولات سقراط المستميتة لأجل الوصول إلى حقائق وجواهر الأمور ، هي محاولات منهجياً تُعد سابقة للزمان ومتخطية لحدود الفكر البشرى ، وسقراط هو بطل ذلك المنهج الذي أعلى من شأن العقل والقيم وربط بينهما في رباط واحد، يقول وولف " فسقراط هو كل وأسلوب قبل أي شي نظرة معينة إلى الأشياء وإلى الآخرين وإلى ذاته ، إنه وقار مبتسم ومع ذلك فيه رقة ملحاحة وتواضع واثق من نفسه ، هيئة لا يبدو عليها الاهتمام وتصل دائما إلى ما هو صحيح(37)

إن أقل ما يقال عن ذلك الأسلوب السقراطى أنه أقام ثورة ليست في تعديل مسار الفلسفه فقط وإنما في آليه البحث عن جواهر الأشياء ، أضف إلى ذلك المنهج الذي استخدمه لأجل تحقيق تلك الغايات ، إنه دائماً ما كان يصيح قائلاً بأنه لا يعرف شيئاً وانه ليس لديه ما يُعلمه،وليس عنده أى فكرة فى رأسه، وهو يستجوب هكذا ببراءة وبدون رأى مسبق (38) ولعل ذلك المنهج هو ما أثار التساؤلات حول سقراط وحول غايته وحول مصيره المحتم فإلي أين سيقود المنهج سقراط –أإلى التهكم ؟

ولكن التهكم لذات التهكم لم يكن أبداً هدفاً لسقراط؟؛

أليس ذلك المنهج يُعد حائلاً دون الفكر الدائري يهوى إزعاج الضمائر وإفزاع الرؤوس الممتلئة تماماً ؟ هل يمكننا اختزال سقراط كله، بعبقريته الفذة في هذه التساؤلات؛ ثم لماذا كل هذه الضجة حول سؤال سقراط عن معنى الشئ ؟؛ ربما يقال إننا لو أردنا الدقة فعلينا بالرجوع إلى القاموس ليعطينا

المعنى الصحيح؛ولكن ليس المقصود هو المعنى اللغوي البحت الذي يعطينا القاموس إياه ، وليس المطلب هوس شفهي نحوى؛لم يرد ذلك ببال سقراط ولكن كل ما أراده هو البحث عن الجوهر الحقيقي للشئ من أجل حسن التوجه والعمل ، من أجل تأسيس مسلك قويم ينهض من أسس عقليه لذلك ، لأن معظم الإجابات التي كان يتلقاها سقراط كانت توضيحاً للشئ ، وليست استقصاء حول جوهره فإن سقراط لم يكن يرضى عنها، بل كان يخبر الجميع أن كلا الطرفين يجهلان الماهية جهلا عميقاً(39) يدلنا على ذلك مثلاً سؤال سقراط عن ماهية الشجاعة ، فيجيب لا خيس بقوله "عندما يظل الجندي شجاع "...

في حقيقة الأمر لا يوجد من ينكر هذا التوصيف، لكنه للأسف توصيف قشرى ، لا يلبث أن يذوب وسط العديد من التوصيفات المشابهة ، ولكن سقراط يبحث عن الماهية ، يتساءل عن الجوهر، عن المضمون، لا عن الشكل ، وكأنه يريد إجابه تقول له "الشجاعة هي الثبات على المبدأ مهما تغيرت المواقف " فإذا ما قيل مثل هذا التعريف فإنه يخاطب العقل ويلوذ بالجوهر مباشرة لا أن يخاطب العاطفة المتقلبة ويلوذ بالعرض (40) إن الحقيقة التي لا مراء فيها أن سقراط لا يؤمن بالمفاهيم السطحية ، ولا يريد أنصاف الحلول وتالياً تجد تشابهاً واضحاً في طرح السؤال ونهاية الحوار فما فعله مع لا خيس حول الشجاعة ، فعله مع خارميدس حول الحكمة وفعله مع أوطيفرون حول التقوى ، وفعله مع غيرهم حول مفاهيم أخرى ، وانتهت به هذه الحوارات إلى نتيجة واحدة مؤداها " ألا احد يعرف شيئاً عن حقيقة أو جواهر الأشياء".. (41)

لقد أراد سقراط البحث عن الخطوط الرئيسية، والمبادئ العامة والجواهر الأصيلة للشئ موضع التساؤل، حتى يعلم الجميع حقيقة هذا الشئ ويضعوا لها مقياساً من عقولهم، فإذا ما حادوا عنها قليلاً إيجاباً أو سلباً، إفراطاً أو تفريطاً فإنهم لا يزالون في محراب المضمون ، ولم ينفكوا

عنه ، وتالياً فهم في حاجة إلى المرونة والتوجيه طالما أنهم لم يفقدوا الطريق، إنه يمكننا القول ، أن السؤال السقراطى فتح أبواباً كثيرة أمام العقل المطلق ، العقل المجرد عن الشهوة والنفس والهوى ، لعل ذلك هو ما جعل سقراط حياً إلى اليوم ، ليكون حكيماً بإمتياز،فى كل زمان ومكان،يقول وولف "إن سقراط هو الحكيم بالإمتياز الذي يكيف حياته مع مثل أعلى عقلاني وتحقق فيه كما المعجزة ، الفضائل الكنسية كلها ، التحكم بالذات والاعتدال ، والاستقامة والانضباط والنزاهة واحتقار القيم المادية وقد نتعب من تعدادها خوفاً من أن نكون مثاليين"...(42) لكن السؤال الآن ما جدوى سقراط ؟؟ أو بمعنى أدق ، ما فائدة البحث في سر السؤال السقراطى؟ ، هل يمكننا إعادة اكتشاف سقراط من جديد ، هل تصحوا البشرية يوماً على صوت العقل يناديها "انشروا بنى البشر الحقائق لذاتها، وابحثوا في المضمون والتمسوا الجوهر" ، هل تتجه الفلسفة نحو واقعية ديالكتيكيه جديدة يمكنها بعث الماضي والنفخ فيه من روح الحاضر وانتظار المولود السعيد لهذا الجهد الكبير في المستقبل .....

لعل ذلك ليس مناطاً للأحلام، ولعل الجميع يدرك اليوم جدوى سقراط ، يقول الدكتور عبد الغفار مكاوي "واتجاه الفلسفه إلى مشكلات الواقع يفرض عليها أخيرا أن تتجه إلى الرأي العام ، وهذا يحتم عليها أن تتنازل قليلاً عن لغتها التقليدية لتتكلم بلغة مفهومه تفيد الحوار المشترك بينها وبين أبنائها "الجاحدين "كما تفيدها في توضيح أفكارها والإقناع بحججها ، إن الوضوح لا يتنافى مع العمق ، واللغة البسيطة ليست دوماً دون المستوى ، ومن أراد أن يتجه إلى الشارع والسوق فلابد أن تكون لديه القدرة على مخاطبة الشعب، إن شعوره بالمسئولية يدفعه إلى هذا، وتواضعه يجعله يتعفف عن اعتباره نزولاً إليه ،كان سقراط متواضعاً وبلا غرور،والتفلسف على طريقة سقراط مستحيل بغير التخلي عن الغرور"(43)، فهل نسمع تلك الرسالة، هل من بعث جديد لا لنمطية السؤال السقراطى ولكن لجوهر الغاية السقراطية ، ذلك الجوهر الذي

يتمتع بالبساطة ،، ويتسم بحسن الخلق ، ويركب مركب العلم ويسير بشراع الفضيلة وتدفعه رياح التواضع لبنى البشر.إن سقراط الذي فهمناه ، يمتلك العديد والعديد من الحلول لأزمات البشر اللامتناهية ، فهل نستطيع بعث جوهر فلسفته من جديد ..

خاتمه :-

هناك العديد من الفلسفات التي دُرست قشورها فقط ، ولم يُنقب أحد في أحشائها ، ولعل فلسفة سقراط من ذاك النوع الذي لا يزال في حاجة ماسة إلى البحث والاستقصاء لإستكشاف جوانب جديدة في حياة سقراط النظرية والعملية ولعلنا نكون وضعنا إطاراً منهجياً للبحث في ماهية السؤال السقراطى ، وتاليا يمكننا القول إننا خلصنا إلى النتائج التاليه :

1- تركت النزعة الصوفية في الفلسفة الشرقية أثرها الواضح على سقراط في حياته العملية ، لدرجه أن فلسفته النظرية طبقت في حياته العملية ..

2- كان لسقراط الفضل الكبير في تعديل مجرى التفكير الفلسفي من الغوص في الأساطير، ثم فلسفه الطبيعة لتوجيه الأنظار إلى البحث في الإنسان ..

3- مثلت الفلسفة السقراطية الجانب الإيجابي للتحول كماً وكيفاً ومنهجاً واصطلاحاً ، جوهراً و عرضاً، وذلك بعكس الدور السلبي الذي تركه السوفسطائيون .

4- يُعد منهج السؤال السقراطى في حد ذاته إطاراً عاماً يصلح للعديد من الفلسفات، سواء تلك التي تعترف بسقراط وتُكن له احتراماً، أو تلك التي تحرف في صورته وحقيقته .

5- فارق كبير بين الصورة والمضمون ، بين الجوهر والعرض، بين القشرة واللباب ، هو عينه الفارق بين الجدل السقراطى ، والجدل السوفسطائى..

6- سيظل الباحثون على مدار الحياة يكتشفون يوماً بعد يوم جوانب مختلفة من حياة رجل عظيم ، اسمه سقراط ...

*أستاذ بجامعة القاهرة

الإحالات:

1) نقلا عن د .احمد محمود صبحي ، في فلسفه الحضارة ، مؤسسه الثقافة الجامعية ،الأسكندريه ، بدون تاريخ ، ص3.

2)ايفاجيلوس موتسوبولوس ، من الأسطورة إلى المنطق، ترجمه ودراسة وتعليق د/هدى الخولى ، دار الثقافة العربية ، القاهرة 2003 ،.ص25.

3)نفس المرجع ص26

4)fuller (b.a.g) :- history OF GREEK PHILOSOPHY (THATES TO DEMOCRITUS) HENERY HOLT AND COMPANY NEW YORK 1923 P.I6

5) Ibid .p.I7.

6)ايفاجليوس موتسوبولوس ، المرجع السابق ص 40

7) نفس المرجع ص46

8)*Bogomolov (A.S):- history of ancient philosophy ,trans by :- v stankerich , progress publishers, Moscow 1985.p[.18*

9)conford (f.m) :- "before and after socrat" Cambridge university press 1990.p23

10)دكتورعبد الرحمن بدوى، ربيع الفكر اليوناني، مكتبه النهضة المصرية القاهرة ، 1946 ص 41 وما بعدها

11) د/ مصطفى النشار، الفلسفة الشرقية القديمة ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، 2012، ص 19

12)MC TICH (k) :- Socrates on desire for the good and the involuntariness of wrongdoing ,, an essay on the philosophy of Socrates , by :h.h Benson , Oxford university press , new York , 1992 p,I32.

13)فكره العقل المطلق استقيتها من كتابات الدكتور عبد الغفار مكاوي خاصة كتاب ملحمه جلجامش ، وكتاب لم الفلسفه.

14-Ehrenberg(V):-from solon to Socrates, and ed , Methuen ,co .ltd , London 1976.P.2I.

15)د . هدى الحولى ، الفلسفه اليونانية من القرن السادس إلى الرابع قبل الميلاد ،' مطبعه جامعه القاهرة ،2012ص162.

16) د.مصطفى النشار ، مدخل إلى الفلسفة السياسية والاجتماعية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2012 ص117.

17)وولف فرانسيس :- سقراط ، ترجمه ، منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1993،ص26.

18-plato" meno" trans by :- g.m . grube hockett, publishing company, inc India , 1978, p, 73.

19)MC tiche , op.cit, p.46.

20)د.هدى الحولى ، الفلسفة اليونانية ، المرجع السابق ، ص 156.

21)Santas (G): the socratic paradoxes, the philosophical review 73,Aprill, 1964, p, I36

22)Ibid , p , I37

23)Vlastos(G): socrates (Ironic and moral philosopher) Cambridge University press, New York , 1992,p.,62.

24)Nahm (M.C):-selections from early Greek philosophy, 3rd , Appleton century Inc , New York , 1967,p.

25)Vlastos , op , cit , p, 72 .

26)MC tiche , op , cit , p , II2

27)ر يكس وورنر ، فلاسفة الإغريق ، ترجمه / عبد الحميد سليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهر ه ، 1985 ص 64.

28) Seron (H.M):-socrat ,, The Great , Macmillan ,, coltd, London , 1953.P.9.

29)santas (G):-op.cit.p.I26.

30)د. هدى الحولى ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، المرجع السابق ص 161.

31) Seron , op.cit.p./I36.

32)Ibid ,p, I37.

33)Burnt (J):- Early Greek philosophy, 4the adam , charles& black , London , 1975, P I63.

34)أفلاطون ، محاوره بروتاجوراس ، ترجمها إلى الانجليزيه ، بنيامين جويت ، تعريب / محمد كمال الدين على ، مراجعه د /محمد صقر خفاجه ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967 ، فقره 388.

35)Guthrie (W.C.K):- the Sophists , Cambridge University press & New York ,1988,p,I8

36)ريكس ورنر ، المرجع السابق ، ص62.

37)فرنسيس وولف ، المرجع السابق ، ص59.

38)نفس المرجع ، ص60.

39) Seron , op , cit, p, II8.

40) stone , (I.F):- the trial of Socrates, U.S.A 1973.p.39.

41)Ibid, pp, 42, 43.

42)فرانسيس وولف المرجع السابق، ص 21.

43) د.عبد الغفار مكاوي ، لم الفلسفة ، منشأه المعارف ، الاسكندريه 1971م ص73.